

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[374] بقاعدة "لزوم دفع الضرر المحتمل" (1). وفي الآية التالية ورد جواب رابع لهؤلاء،

فهي تقول: إِنْ كُنْتُمْ تَفْكُرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا حِينَ نَزُلَ الْعَذَابُ، وَأَنْ إِيْمَانَكُمْ سَيَقْبَلُ مِنْكُمْ، فَإِنْ طَنَّكُمْ هَذَا بَاطِلٌ لَا صَحَّةَ لَهُ: (أَثُمَّ إِنْ مَا وَقَعَ أَمْنْتُمْ بِهِ)، لِأَنَّ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ سَتُغْلَقُ بِوُجُوهِكُمْ بَعْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ، وَلَيْسَ لِلْإِيْمَانِ حِينَئِذٍ أَثَرٌ، بَلْ يُقَالُ لَكُمْ: (الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ). هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِعِقَابِ هَؤُلَاءِ الدُّنْيَوِيِّ، وَفِي الْآخِرَةِ: (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)، فَإِنْ أَعْمَالَكُمْ فِي الْوَاقِعِ هِيَ الَّتِي أَخَذَتْ بِأَطْرَافِكُمْ، وَهِيَ الَّتِي تَتَجَسَّدُ أَمَامَكُمْ وَتُؤْذِيكُمْ عَلَى الدَّوَامِ. * * * ملاحظات 1 - كما قلنا في ذيل الآية (34) من سورة الأعراف، فَإِنْ بَعْضُ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْإِدْيَانِ الْمُخْتَلِقَةِ فِي عَصْرِنَا اسْتَدَلُّوا بِآيَاتٍ. مِثْلُ: (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) الَّتِي وَرَدَتْ مَرَّتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ، عَلَى نَفْيِ خَاتِمَةِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وَتَوَصَّلُوا إِلَى أَنَّ كُلَّ دِينٍ وَمَذْهَبٍ يَنْتَهِي فِي النِّهَايَةِ وَيَخْلِي مَكَانَهُ لِمَذْهَبٍ آخَرَ. فِي حِينَ أَنَّ الْأُمَّةَ تُعْنِي الْقَوْمَ وَالْجَمَاعَةَ. لَا الْمَذْهَبَ. إِنْ هَدَفَ هَذِهِ الْآيَاتُ هُوَ أَنَّ قَانُونَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ لَا يَخْتَصُّ بِالْأَفْرَادِ، بَلْ إِنَّ رَبَّهُ يَشْمَلُ الْأَقْوَامَ وَالْأُمَمَ أَيْضًا، فَإِذَا سَلَكَوا طَرِيقَ الظُّلْمِ وَالْفُسَادِ فَإِنَّ رَبَّهُمْ سَيَنْقَرِضُونَ لَا _____ (1) يَتَّصِحُّ مِمَّا قُلْنَا هَؤُلَاءِ، أَنَّ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ تُشْتَمِلُ عَلَى قَضِيَّةٍ شَرْطِيَّةٍ، ذَكَرَ شَرْطَهَا، إِلَّا أَنَّ جَزَاءَهَا مُقَدَّرٌ، وَجُمْلَةٌ: (مَاذَا يَسْتَعْجَلُ مِنْهُ الْمَجْرُمُونَ) جُمْلَةٌ مُسْتَقْلَةٌ. وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ هَكَذَا: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا كُنْتُمْ تُقَدِّرُونَ عَلَى دَفْعِهِ أَوْ تَعْدُونَهُ أَمْرًا مُحَالًا فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ (مَاذَا يَسْتَعْجَلُ مِنْهُ الْمَجْرُمُونَ). وَمَا احْتَمَلَهُ الْبَعْضُ مِنْ أَنَّ جُمْلَةً: مَاذَا يَسْتَعْجَلُ.. هِيَ جَزَاءُ الشَّرْطِ بَعِيدًا جَدًّا. دَفَقُوا ذَلِكَ.